أغنية الليل

مترجمة عن كتاب نيتشه : هكذا قال زرادشت

[نقلها محمد فهمي]

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وها هي الينابيع الفوّارة قد علت أصواتها وما روحي غير ينبوع فوّار ! !

ها هو الليل مرخٍ سدوله . وفي هذا الكون تستيقظ أناشيد الحب وما روحي غير أنشودة محبّ ! !

شيء لا يستقر . بل شيء غير قابل للاستقرار . هو كامنٌ في نفسي يبحث عن مُتَنَفَّسٍ لهُ في القول . انهُ شوق الحب المستعر في جوانحي وهو الذي يتكلم بلغة الحب ! !

أنا النور : آه . ليتني كنت الليل . لكن هذه هي وحدتي يحيط بها النور !

آه ليتني كنت حالكاً كالليل . اذن كنت أرتشف النور بنهم من منابعه !

وكنتُ أباركك ، حتى أنت أيتها الأنجم المتلألئة . أيتها الحاجب الشمعة في الذرى قانعم بلمحاتٍ من ضيائك .

ولكنني أعيش في النور المنبعث من حنايا وأرتشف ثانية اللهب المندلع من كبدي

أنا لا أتذوق سعادة الآخذ قط . ما أكثر ما أوحت اليّ أحلامي انهُ لخيرٌ وأحلى أن أكون سارقاً من أن أكون آخذاً !

ان فقري لأن يدي لا تستريح أبداً من الإعطاء وان عيني أنني أعرف السؤال في العيون وأتبيّن ليالي الرغبة بنجومها .

آه . ما أشقى هؤلاء الذين يمنحون ! أوه . يا لكسوف شمسي ! آه .

أيتها الرغبة من أجل الرغبة ! أوه . أيها الجوع المزمجر وسط فيض من الشبع !
انهم يأخذون مني ولكن هل أنا أمس صميم نفوسهم ؟ ! ان بين الأخذ
والعطاء هوّة سحيقة وأضيق مكان فيها هو آخر ما يمكن عبوره ! !
لقد نبت الجوع من بهاء جمالي . حتى ليسرني الآن ان أوقع بين أيديهم
الى يسرني أن أسرق من أمنحهم عطاياي . وهكذا صرت جوعاناً الى الشر !
ها أنا أنبض يدي في الوقت الذي تمتدّ فيه يدٌ تلتمس العطاء !
متريّثاً كما يفعل ماء الشلال هنيهة قبل ان ينحدر
هكذا أشعر بالجوع الى الشر ! !
ان تراني لتنكر في هذا النوع من الانتقام . وهذا البغض
قد نبع من سالك وحدتي
لقد أماتت المنح نشوة المنح في نفسي وأصبحت فضيلتي وقد أنهكها فرط السخاء !
ان من يعطي لهو في خطر يهدده فقدان مياه حياته !
ومن يحمل دأبه توزيع الاحسان لا بد ان يصاب قلبه بالقسوة ويده بالغلظ
ليس من شيء الاّ من دوام توزيع الاحسان .
ان عيني لم تعد تفيض بالعطف على السائلين . ويدي أصبحت جامدة
لا تحسّ ارتعاش الايدي الممدة بالعطايا .
أين ذهبت دموع عينيّ ؟ ! بل أين رقة قلبي ؟ ! آه
ما أشد وحشة من يمنحون . وما أقسى صمت من يثيرون !
ان كثيراً من الشموس تدور في الفلك
وانها لتخاطب كل صقع مظلم بلغة من النور
ولكنها عندي ليست الاّ صامتة ! !

آه ان هذه عداوة النور لكل شيء ينير
يسير في طريقه مجرداً من كل شفقة
جائراً على كل شيء يضيء ! غير مكترث للشموس .
وكذلك تسير كل شمس !
الشموس تسير في أفلاكها كالعاصفة — تلك مسارها
انها تتبع مشيئتها الجامحة — لا يدبّ فيها شعور !
آه . أنت أيتها الكائنات المظلمة ! أنت وحدك يا كائنات الليل
تمتصين الحرارة من الكائنات المضيئة
وانك وحدك التي تشربين اللبن فتمشين نفسك من ضرع الضياء !!
كفى ! ها هو الجليد قد أحاطني . وان يدي لتحترق وهي تلمسه .
كفى ! ان ظمأ أحسه في صميمي وما هو الا تشوّق الى ظمأك
انهُ الليل . كفى . فوجب ان أكون النور والظمأ لكل ما في الظلام .
وان أكون الوحدة !
انهُ الليل . والآن قد انبثقت رغبتي كينبوع متدفق . انني أرغب في الكلام !
انهُ الليل وها هي الينابيع الفوّارة قد علت أصواتها
وما روحي غير ينبوع فوّار !
انهُ الليل وفي هذا الكون تستيقظ أناشيد المحبين
وما روحي غير أنشودة محب !!
هكذا قال زرادشت